ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد النكاري بين الإنصاف والتجريح

علي عشي*

الملخص

بين الباحث من خلال مقاله أن ثورة أبو يزيد رغم النهاية المأساوية لها، إلا أن هذه الملحمة كانت لأسباب دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية لكن هذه الأسباب كانت تغطي سببا أقوى وهو انفجار قوى العصبية الزناتية التي ينتمي إليها أبو يزيد اليفرني

كما وضح الباحث أن ثورة أبي يزيد بالأوراس في هذا الإطار التاريخي هي صفحة لامعة في كفاح أهلها للمحافظة على استقلالهم.

İNSAF VE İNSAFSIZLIK ARASINDA EBU YEZİD DEVRİMİ

ÖZ

Müslüman mağribin tarihi farklı alanlarda birçok önemli hadiseye şahitlik etmiş,bu da bölgeye siyasi, fikri ve toplumsal devrmlerin birbirini izlediği dinamik bir yapı kazandırmıştır. Bu devrimlerin derin etkisi genelde tüm mağribde, özelde ise orta mağribdee hissedilmektedir. Bunlardan biri olan Muhalled b. Yezid ayaklanması, Fatımilerin İsmailiye mezhebini mağrib halka dayatma çabası ve devleti sarsan katı mali politikalarına karşı gelişen hoşnutsuzluğun en belirgin ifadesi olmuştur. Makalede, ibn Yezid'in lideri olduğu mezhepsel hareketin diğer mezheplerle karşılaştırması yapılacak, Fatımi Devleti'ne karşı neden Emevilerden yardım istediği tartışılacak, ayaklanmanın nasıl taraftar bulduğu ve zamanla tüm doğu Afrika'ya yayıldığı ortaya konacak, Fatımilerin mağrib ve Afrika siyaseti değerlendirilecek ve son olarak Fatımi, İbadi ve diğer Arap kaynaklarında bu olayın nasıl ele alındığı işlenecektir.

Anahtar Kelimeler: İbadiye, Fatımiler, Mezhep politikaları

ABU YAZID REVOLUTION BETWEEN JUSTICE AND INJUSTICE

ABSTRACT

Along history the Islamic Maghreb has withnessed a great deal of social, political and ideological revolutions which have caused the region to gain a dynamic structure. These events deeply influenced the whole region, specially the Middle Maghreb.. As one of these important events the uprising of Muhalled b. Yezid has been a quite clear expression of reactions given to the Fatimid politics which are blamed to be sectarian and economically authoritarian. In this article, the reader will find a comparison between Muhalled's sect and the other sects of the region, the reason why Muhalled asked the help of Omayyad Dynasty, how he found supporters for his mission, how his uprising has expanded over the whole East Africa and an investigation Fatimid politics of the Middle Maghreb. All of teh Arabic, Fatimid and Ibadhi sources will be taken into consideration.

*Makalenin Dergiye Ulaştığı Tarih: 13 Aralık 2014; Hakem ve Yayın Kurulu Değerlendirmesinden Geçen Makalenin Yayına Kabul Edildiği Tarih: 13 Ocak 2015*تقدمة:

* أستاذ التاريخ الوسيط قسم التاريخ، جامعة عباس لغرور خنشلة / الجزائر : com.yahoo@Maktoob72.

إن تاريخ المغرب الإسلامي يعج بأحداث هامة على مختلف الأصعدة، وهذا ما جعل المنطقة بكاملها في حالة من الحركية والدينامية، تميزت بحدوث تقلبات اجتماعية وسياسية وفكرية أثرت تأثيرا عميقا على المغرب عموما و المغرب الأوسط خصوصا.

ومنها ثورة مخلد بن كيداد التي تعد أفضل تعبير عن السخط الذي كان يجيش في صدور أهل إفريقية والمغرب الأوسط من جراء السياسات الفاطمية الرامية لفرض المذهب الشيعي الإسماعيلي على السكان، وعلى السياسة المالية الصارمة التي كانت الدولة تنتهجها، والمتمثلة أساسا في الضرائب الفادحة التي كانت تفرضها على التجارة والزرع.

ويمكن حصر الأهداف الأساسية لاختيار هذا الموضوع في مجموعة من النقاط:

- مقارنة الحركة المذهبية التي تزعمها أبو يزيد ببقية الحركات المذهبية، وهل تستر بقناع الدين والمذهب؟ ولماذا لجأ إلى طلب مساندة الأمويين؟.

- إبراز مدى تعلق السكان بصاحب الحمار[1]، خلال مدة الثورة المقدرة بثلاثة عشر سنة، وكيف امتدت إلى الأوراس[2]ثم عمت كامل شمال إفريقيا.

- محاولة إظهار وجه السياسة الفاطمية، للقضاء على هذه الثورة حيث انطلقت خلال سنة 316هـ / 928 م[3]، واشتدت في عهدي محمد القائم بأمر الله 322هـ – 334هـ/ 933- 945 م وانتهت في زمن حكم ابنه الخليفة المنصور بالله 334هـ-341هـ/ 945-952 م.

- تناول الكتابات العربية والفاطمية و الإباضية وموقفها من هذه الثورة؟، وتصحيح النتائج التي

1 سمي بذلك عندما مر بمدينة مرمجنة – بإفريقية قرب الأربس-وفيها أهداه سكانها حمارا أشهب، ظل يركبه مدة طويلة حتى أنه أصبح يعرف بصاحب الحمار.مزهودي مسعود: الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب، المطبعة العربية، غرداية، 1996، ص73. وقيل أنه حصل على الحمار كهدية عند عودته من الحج في مصر وكان حمارا قويا سريعا لا يضاهيه أي حصان.

2 إن لفظ الأوراس ذكر في العديد من اللغات وخلال فترات زمنية مختلفة ، فقد ورد في اللغو الاغريقية عند المؤرخ بطليموس خلال القرن الثاني للميلاد باسم Aurasion . عبد الحميد زوزو: الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي (التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية) 1837-1939، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ج1، ص13. كما ذكر أيضا في اللغة اللاتينية في كتابات المؤرخ بروكوب في القرن السادس للميلاد باسم Aurasius .
Lionel, galond : etatlun gustique de l›Aures Antique, Revue Aouras, Societe d›etude et de recharches sur l›Auras Antique, N 02, Decembre, Paris, 2004, P 34.
أما السكان المحليون فإنهم ينطقونها «Aures» أو «Aoures»
Colonel De Lartigue : Monographie de L›Aures, Costontine, 1904, P04.
وأما فيما يخص معنى كلمة أوراس فترجع إلى الاسم السامي «أرزون» والذي يعني الأرز، وهي شجرة تنتشر بكثرة في سفوح جبال المنطقة
Duve yrier: bultin de socite geographique, anne, 1976 , p 41.
أما المستشرق Georges Marcy يرى أنها تعني اللون الكميث، وهو اللون الذي يتميز به الفرس الأسمر . عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ج1، ص15.
وقد يكون مشتق من كلمة»أور» التي تعني الجبل . محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص159. كما يمكن أن تكون مشتقة من الكلمة الأمازيغية أراس ومعناها « الأصيل» .

3 المقريزي: كتاب المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1991، ج6، ص176 .

ألصقوها بها خاصة اتهامه بمساهمته في تدهور المستوى الاقتصادي و العمراني للمنطقة، وعلى رأسهم المؤرخ المقريزي في كتابه اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، كما لا ننس أبشع النعوت التي وصف بها. [4]

إضافة إلى تحامل بعض مؤرخي الإباضية ضده لأنه من نكار إمامة أئمتهم المختارين.[5]

ومن هنا نبرز الإشكالية الخاصة بالموضوع وهي **ما حقيقة شخصية أبو يزيد مخلد بن كيداد؟ أو صاحب الحمار بين التزييف التاريخي والحقيقة الغائبة.**

وتندرج في هذا الإطار مجموعة من الإشكاليات الفرعية على النحو التالي:

ما هي أهم أسباب هذه الثورة وما دوافعها؟

وهل كانت تعتمد على خطة واضحة و إستراتجية مفهومة؟

هل ارتكب مخلد بن كيداد كل الأعمال التي تنسب إليه للحط منه ومن ثورته؟

ما هي أهم النتائج التي أدت إليها لصالح الثورة وعليها وعلى كامل المنطقة؟

أما أهم المصادر التي تناولتها فهي عديدة منها الشيعية كالمقريزي، في كتابيه المقفى الكبير، واتعاظ الحنفا، والقاضي النعمان، في كتابه المجالس والمسايرات، والمصادر الإباضية كالدرجيني طبقات المشايخ، والسنية كابن الأثير، الكامل في التاريخ، وابن خلدون العبر، و ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، وابن عذاري في كتابه البيان المغرب، والرقيق القيرواني تاريخ افريقية والمغرب والمالكي في كتابه رياض النفوس.[6]

أولا : التعريف بصاحب الثورة.

اختلفت المصادر في النظرة إليه، فكثير منها وصفته بأقدح النعوت والأوصاف، فلم ينصفه إلا القليل، وهو ما يظهر توجها واضحا للمؤرخين العرب في تناول تاريخنا المغاربي برؤية خضوع للشرق، بل حتى المؤرخون المغاربة من الإباضية الوهبية حاولوا تغير التاريخ وإخفاء الحقائق، فأغلب من كتب عنه دعايات مغرضة والسبب فيها إما الغيظ والعصبية، أو الرغبة في الانتقاص من جهاده.[7]

4 كان يركب حمارا أشهب ويلبس جبة صوف قصيرة وكان قبيح الصورة قصير القامة أعرج. المقريزي: كتاب المقفى الكبير، تح، محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1991، ج6، ص176 .

5 سميت جماعة النكار الذين أنكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم(171-190هـ)/ (787-805 م)كما سموا بالنجوية لإنهم أكثروا النجوى في إبطال إمامة عبد الوهاب وسموا بالشغبية لإكثارهم الشغب في تاهرت، كما سموا بالنكاث لأنهم نكثوا بيعة الإمام . الشماخي: السير، طبعة حجرية، القاهرة، د ت ، ص148.

6 La Révolte d'Abu-Yazid, Cahiers de Tunisie 1953, pp103-125.

7 سليمان بن الحاج: ثورة أبي يزيد جهاد لإعلاء كلمة الله، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1981، ص13.

هو أبو يزيد مخلد بن كيداد[8]بن سعد الله بن مغيث[9]قال ابن خلدون بأن » هذا الرجل من بني واركو إخوة مرنجيصة[10]وكلهم من بطون يفرن من زناتة وكنيته أبو يزيد، وأسمه مخلد بن كيداد، ولا يعلم من نسبه فيهم غير هذا« [11]، ويرجع ابن حوقل أصله إلى قبيلة سماطة[12]، بينما ينسبه أبو عبد الله الصنهاجي إلى بني جعفر من زناتة.[13]

أما ابن حزم فنقل عن يوسف الوراق» عن أيوب بن أبي يزيد مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن وريمت بن خونيفر بنسميران بن يفرن بن شانا، وهو زناتة«[14] وعند ابن عذاري »مخلد بن كيداد بن سعد الله بن يفرن، ويفرن هو أبو الكاهنة؛ وتنتسب إلى جانا بن يحي زناتة كلها«[15]، وكان بنو يفرن هؤلاء لعهد الفتح، أكبر قبائل زناتة وأشدها شوكة وكان منهم بإفريقية وجبل أوراس و المغرب الأوسط.[16]

ولد مخلد بن كيداد حوالي 270 هـ/ 883م، وتوفي في 27 محرم 336هـ/19 أوت 947 م، وقد قاد الثورة وعمره ستون سنة، وقد وجد أسماء ستة من أجداده عربية، وهو دليل على أن أسرته اعتنقت الإسلام مبكرا، وحتى كلمة أبي يزيد ليست عربية وإنما هي بربرية والأصل» بو زايلة» وتعني «صاحب الحمار» فبو معناها صاحب وزايلة معناه الحمار.[17]

كان كيداد والد أبي يزيد من سكان تيقيوس[18]من بلاد قسطيلية، جنوب تونس، وكان يتجه إلى بلاد السودان للتجارة، فولد له بها أبو يزيد من جارية هوارية[19]أتى به توزر[20]فتعلم القرآن

8 عند ابن الأثير (كنداد) ، ج 6، ص 302.

9 ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص29.

10 كان هذا البطن من بني يفرن يقيم بإفريقية، وكانوا في عدد كبير وعندما خرج أبو يزيد وأعلن الثورة على الشيعة ، انظم إليهم أخوانهم من بني واركو ولما فشلت هذه الثورة ضعفوا ، وبقيت منهم أحياء في القيروان وتونس. مزهودي مسعود: المرجع السابق، ص102-103

11 العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1992، ج7، ص16.

12 صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979، ص94.

13 ابن حماد: المصدر السابق، ص29-30.

14 ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1999،2 ، ج 1، ص495.

15 البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق، س كولان ول. بروفنسال، دار الثقافة بيروت، 1982، ج1، ص216.

16 سليمان بن الحاج: المرجع السابق، ص25..

17 سليمان بن الحاج: المرجع السابق، ص23-24.غير أن أبي عبد الله الصنهاجي يرى أنه كني بذلك نسبة لابنه يزيد، حيث له أربعة وهو يونس وأيوب وفضل من زوجته تاخيرت، وأعتقد أنه الرأي الأقرب إلى الصواب. المصدر السابق، ص31.

18 تيقيوس: بالفتح ثم السكون وياء مضمومة وواو ساكنة وسين مهملة ، مدينة بإفريقية قريبة من توزر، تتكون من أربعة مدن متقاربة كثيرة النخل والزيتون والفواكه .مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول، الاسكندرية، 1958، ص 156؛ و ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج 2،ص37.

19 عند المقريزي «جارية صفراء هوارية» اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ج 1، ص 157.

20 وهي أم مدائن قسطيلية، حصينة كثيرة النخيل والثمار، وهي أكثر بلاد إفريقية تمرا . أبو عبيد الله البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من المسالك والممالك، تح: جمال طلبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 1، 2004، ص 38.

وصاحب جماعة من النكارية، فاعتنق مذهبهم بعد أن كان وهبيا[21]، بسبب مخالطته لهم في منطقة الجريد، إلا القاضي عياض يرى بأنه كان يبطن رأي الصفرية ويتمذهب بمذهب الخوارج.[22]

ويصف لنا الدرجيني سبب تحوله عن الوهبية نحو النكارية» أن عالما من علماء الإباضية يدعى أبا الربيع، خرج برفقة أبي يزيد وأثناء مرورهم بحي من أحياء الوهبية لم يكترثوا بهما فوقع ذلك في نفس أبي يزيد، وعندما مرا بالنكارية أكرموهما، وأحسنوا استقبالهما فأدى إلى استمالته إليهم واعتناقه لمعتقداتهم»[23]، وهنا نلاحظ سياسة الوهبيين في إخفاء الحقيقة والمراوغة والانتقاص من الطرف الآخر.[24] لكن أحد المؤرخين المعاصرين فيشبهه بابن تومرت الموحدي ونجاح ثورته على المرابطين مع بعض الاختلاف في الظروف والملابسات.[25]

وقد مات أبوه وتركه فقيرا معدما، فكان » أهل قيطون[26] يصلونه بفضل أموالهم، وكان يعلم صبيانهم القرآن ومذاهب النكارية«.[27]

رحل إلى تاهرت وفيها أقام معلما للصبيان، حتى إذا انتقل الشيعي إلى سجلماسة في طلب المهدي، غادرها إلى تيقيوس يختلف بينها وبين مدينة توزر، وحمل على نفسه مهمة تغيير المنكر، و الإنكار على الولاة.[28]

ثانيا : أسبابها

لقد خرج أبو يزيد على أبي القاسم القائم بأمر الله ثاني خلفاء الدولة الفاطمية فزحف في سنة 332هـ/ 943م من جبل أوراس واستولى على القيروان وأكثر مدن إفريقية في مدة أقل من أربعة أشهر، ثم حاصر الخليفة الفاطمي في عاصمته المهدية وأوشك يقضي على الدولة الفاطمية، وقد دام الحصار حوالي عشرة أشهر ثم تغيرت الأقدار على أبي يزيد فوقعت بعض الهزائم بأصحابه وناصبه المنصور بالله ثالث الخلفاء الفاطميين الحرب قضى عليه سنة 336هـ/947م[29]، مستخدما ضده الأسطول البحري وذلك لأول مرة.

21 الوهبية: هم الذين أيدوا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، وصوبوا إمامته، وهم جمهور إباضية المغرب». أبو زكريا : سير الأئمة وأخبارهم ، تحقيق إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، ط2 ، بيروت ، لبنان 1982، ص176.

22 ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: أحمد بكير محمود ،منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د ت، ج2، ص318.

23 طبقات المشايخ، ج1، ص110-11.

24 إن موقف المؤرخين الاباضيين الوهبيين مثل أبي زكرياء و الدرجيني من أبي يزيد فهما يلعنانه ويسميانه عدو الله ويصفان سوء سيرته وجوره مثل المؤلفين السنيين والشيعيين. ولفرد مادلونغ: ثورة أبي يزيد الخارجي صاحب الحمار في الأوراس، ضمن أعمال ملتقى الفكر الإسلامي الثاني عشر، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ج2،، ص268.

25 عمار طالبي، تقديم لكتاب سليمان بن الحاج، ص 22.

26 قيطون بفتح أوله وسكون ثانيه بلدة بإفريقية بينها وبين قفصة ثلاث مراحل وبينها وبين نفطة مرحلة. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص423

27 ابن خلدون : كتاب العبر ،ج 7، ص 16.

28 موسى رحماني: الأوراس في العصر الوسيط، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري قسنطينة، 2006-2007، ص78.

29 ولفرد مادلونغ: المرجع السابق، ص267.

إن ما قام به العبيديون من التخريب والقتل وإرغام الناس على الكفر وذلك أنه لما استولى العبيدي على البلاد فخرب وأحرق أكثرها خصوصا العواصم منها مثل سجلماسة وتيهرت والقيروان وأظهر كفره[30]، طلب المسلمون على اختلاف مذاهبهم من إباضية ومالكية من أبي يزيد القيام بالثورة.[31]

لم يتحرر المغرب الإسلامي من الإتاوات والمغارم التي كان الفاطميون يفرضونها عليهم إلا بعد قيام ثورة الإباضية الكبرى بقيادة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الزناتي الذي خرج إلى الحج سنة ستة عشر وثلاثمائة، وبعد رجوعه دون أدائه، بدأ ت إرهاصات الثورة تلوح في الأفق[32]، خاصة وأن الفاقة والعوز بلغ مبلغهما بسبب سياسة العبيديين المجحفة في الإكثار من الإغارة وجمع الغنائم وإثقال كاهل الرعية بالضرائب، على خلاف ما يروج له في بعض المصادر السنية، التي تجمع في معظمها على أن السبب في ثورته مذهبي أولا وأخيرا.[33]

ومما يبرز البعد الاقتصادي لثورة أبي يزيد اليفرني الزناتي، هو أن من بين الفئات الاجتماعية التي انضوت تحت لوائها نجد"فئة التجار"، فقد أورد"المالكي في هذا الصدد:"وخرج جميع الفقهاء، ووجوه التجار إلى المصلى بالسلاح، والعدة العجيبة، التي لم ير مثلها".[34]

أي أنها في جوهرها اقتصادية اجتماعية، أكثر منها مذهبية، ولا غرو في ذلك-فقد كان أنصارها-يتألفون من سكان البوادي، المقيمين بجبال الأوراس، وجبال بني برزال قبلة المسيلة، والمناطق المعزولة[35]، وهي التي تكون دفعت الناس للانخراط في الثورة ومشايعة الثائر أبو يزيد مخلد بن كداد اليفرني.[36]

وتمثل ثورة أبي يزيد من الناحية الاجتماعية كما يرى محمود إسماعيل حلقة من حلقات الصراع التقليدي بين البتر والبرانس، فهي من جهة تعبر عن النزعة الاستقلالية للبربر البتر من الناحية السياسية، ومن جهة أخرى تمثل الصراع بين سكان البوادي وأهل القرار، كما أنها من الناحية الإقليمية تمثل أيضا صراعا بين الدولة الفاطمية والدولة الأموية في الأندلس وإن كانت جبهة هذا الصراع هي بلاد المغرب.[37]

30 سليمان بن الحاج: المرجع السابق، ص29.
31 نفسه، ص54.
32 يذكر المقريزي أن ابتداء ظهور ثورة يزيد بن مخلد سنة 316هـ. كتاب المقفى الكبير، المصدر السابق، ج6، ص176.وهو بذلك يساير ابن خلدون، ويخالف ابن الأثير الذي ذكر أنها بدأت سنة 296هـ كما يخالف ابن حماد الذي ذكر أنه اندلعت 332هـ، كما أن المقريزي نفسه في الاتعاظ ص 109، عين سنة 303 هـ.
33 القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي، وإبراهيم شبوح، ومحمد اليعلاوي، الجامعة التونسية، تونس، 1978 ، ص 336.
34 رياض النفوس، تحقيق بشير البكوش، وأحمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، للطباعة والنشر، بيروت، 1981 م.، ج 2، ص 223
35 ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط6، 1986 ، ج 6، ص 310.
36 الحبيب الجنحاني: السياسة المالية للدولة الفاطمية في المغرب الأصالة، ع: 50/49، وزارة الشؤون الدينية، سبتمبر- أكتوبر 1977 ، ص56-57.
37 محمود إسماعيل: الخوارج، ص 177

و الأوراس[38]، لم يشذّ عن هذا الإطار، بل كان أكثر المناطق تأثّرا وتأثيرا بهذه الثورة وبالسياسة الفاطمية؛ لطبيعته الجغرافية الجبلية الوعرة، وتكوينه البشري القائم على النظام القبلي، فكان له الصدى الكبير في تاريخ المغرب في العصر الوسيط.[39]

وهذه الثورة التي استوعبت جميع العناصر الإباضية في بلاد المغرب من نكار ووهبي[40]، وهي الثورة الوحيدة التي هددت الدولة الفاطمية وأوشكت على اقتلاعها من الجذور.[41]

ولا تذكر المصادر أن النكار قد وفدوا إلى أبي يزيد من سائر نواحي المغرب لبذل جهودهم في نصرته ولهذا كان أبو يزيد غالبا ما يعتمد على قبائل جبل أوراس والحضنة الذين هم أهل دعوته وهم أخلص أنصاره وأثبتهم في غزواته وحروبه، وخاصة قبيلة هوارة، فلا غرو كان عدد من أكابر قواد أبي يزيد ينتسبون إلى هوارة ومنهم فليح بن محمد الهواري قاضي عسكره، ومنصور بن منصور الهواري الذي عينه قائدا على جيش الفاتح لتونس وأحمد الهواري الذي استعمله أبو يزيد على مدينة سوسة، إضافة إلى قبيلة مكناسة، وعلى رأسها صقر المكناسي وكلهم من الأوراس.[42]

وكان سبب خروجه فيما يروى من أن » القاسم الشيعي لما مات أبوه عبيد الله أظهر مذهبه، وأمر بسب الغار والعباء وغير ذلك من تكذيب الله تعالى؛ فمن تكلم عذب وقتل واشتد الأمر على المسلمين، ثم إن أبا يزيد هبط من جبل أوراس يدعوا إلى الحق بزعمه، ولم يعلم الناس مذهبه فرجوا فيه الخير والقيام بالسنة«.[43]

كما أرجع البعض أسبابها إلى كون البربر كانوا يرون أنهم فتحوا الأندلس وبذلوا جهدهم لتولية العبيديين (الفاطميين) الخلافة دون أن ينالوا شيئًا، لذلك تزعم أبو يزيد ثورة هؤلاء البربر ليستعيد سلطانهم.

38 يذكر محمود إسماعيل أن المذهب النكاري كان ضاربا بجبل الأوراس وبلاد الجريد. محمد إسماعيل : المرجع السابق، ص237.ولا نعلم الكثير عن شيوع المذهب النكاري في الأوراس بين قبائل البربر قبل هذه الثورة، ولا عن نظام جماعتهم والظاهر أنهم كانوا متفرقين في أنحاء البلدان التي يسكنها البربر الاباضيون، مثل جبل نفوسة وقسطيلية وتاهرت، وأما قبائل جبال الأوراس والحضنة فلا نعلم هل كان مذهب النكار انتشر إليها قبل مجيء أبي يزيد.ولفرد مادلونغ: المرجع السابق، ص269. ويضيف محمود إسماعيل ونعتقد أن هذا التحول تم في أواخر أيام الدولة الرستمية حين هوى شأن الاباضية الوهبية وعلا نجم النكار، وهم أكثر تشددا والتزاما بتعاليم المذهب الاباضي من الوهبية. المرجع السابق، ص238.

39 لقد حاول ولفرد مادلونغ نفي السبب الديني عن حركة أبي يزيد حيث يعترض على ابن عذاري في وصفه صاحب الحمار بأنه من أئمة النكار من خلال قوله: "وهذا مما لا تؤيده سيرته"، لكن يعود مرة أخرى ويؤكد أنه لم تكن له أطماع سياسية أو في الحكم من خلال قوله :"تذكر المصادر الأخرى أنه قد عاقد أصحابه في جبل أوراس على أن يقودهم في قتال الشيعة ، ثم إذا ظفروا بالمهدية والقيروان وقضوا على الدولة الفاطمية يكون الأمر شورى بينهم، وكان أبو يزيد يخاطب بشيخ المسلمين، فالظاهر أنه لم يكن يدعي مرتبة الامامة وهي السلطة العليا في الدنيا والدين بين أصحابه وإنما كان يعتبر نفسه عالما من العلماء العارفين بأمور الدين، يقوم بفرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" ولفرد مادلونغ: المرجع السابق، ص268.

40 ذكرت المصادر أن رهطا كبيرا من مزاتة التحقوا بأبي يزيد قبل خروجه من جبل أوراس وأنهم كانوا من الإباضية الوهبية ولم يعتنقوا مذهب النكار ولم تذكر المصادر من أين أتى هؤلاء المزاتيون ولكن يغلب الظن أنهم أتوا من النواحي المجاورة لجبل أوراس شمالا، فمن المعروف أن جماعات من مزاتة كانوا يعيشون في سهول باغية وبلزمة وغيرهم كانوا يسكنون بأرض المسيلة. ولفرد مادلونغ: المرجع السابق، ص271.

41 عبد الرزاق محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ص176.

42 ولفرد مادلونغ: المرجع السابق، ص269.

43 ابن عذاري : المصدر السابق،ج 1،ص 216

ويبدوا من خلال الوقائع الواقعة أن الثورة غايتها نصرة المؤمنين المظلومين ومحاربة بدع الرافضة و إعادة نهج السنة المالكية لعموم الناس، فهي ثورة مذهبية داخل قوم الأمازيغ، فكتامة انقسمت بين مؤيد ومعارض، فمنهم من ناصر الثورة ومنهم من ناصر القائم العبيدي ومن بعد المنصور، ولا غرو أن انتهاج المنصور لسياسة فرق تسد بين صنهاجة وزناتة هو ما أفرغ الثورة من مدلولها وسهل أمر القضاء على زعيمها.

وفي هذا الجو المحتقن، والتوتر القائم بين الأمازيغ الذين قسمتهم المذهبية وشتتهم إلى عصبيات متناحرة فيما بينها بسبب حضور زعامات مستقطبة لهم (عباسية، فاطمية، رستمية، ادريسية، أموية أندلسية) غدا الجو مشحونا بتيارات سياسية تستخدم الدين مطية لبلوغ غاياتها، وأكثر النقم موجهة للعبيدين باعتبارهم رأس حربة في إفساد عقيدة أهل البلاد -بعد قرنين من تمكن الإسلام فيها- لهذا تقاطرت أقوامهم وتناصرت وتجمعت حول رجل ناسك متعبد يعرف في التاريخ باسم (صاحب الحمار) فمن هو ياترى؟

ثالثا : سير أحداث الثورة

حدثته نفسه بالخروج على السلطان، فعد من دعاة الفتنة» فأهدر الولاة بقسطيلية دمه«[44]، ففر إلى المشرق يريد الحج، فوجه المهدي في طلبه فرجع من طرابلس مع صاحبه أبي عمار إلى تيقيوس، فورد كتاب المهدي في طلبه مرة أخرى، مما جعله كثير التنقل والحركة، ينشر فكره ويبشر بدعوته، متسترا من العيون لكنه اعتقل وزج به في السجن، فثار أنصاره لاستنقاذه ومعهم أبو عمار الأعور رأس النكارية وأهل النجدة من رجال زناتة، وسعوا في إطلاق سراحه، فلما تعلل الوالي في إخراجه، أجمعوا على قتل حراس السجن و أخرجوه، فلحق ببلد بني واركلا ومنها كان يختلف إلى جبل أوراس يدعو القبائل البربرية للثورة على العبيديين[45]، حتى كون له جماعة كبيرة من هوارة بني كملان فأصبح مكرما مبجلا في جبال الأوراس.[46]

أصبحت له جماعة تتبنى رأيه وتدعوا إلى ما يدعوا إليه، فكثر نتيجة لذلك أنصاره وعظم خطر ه [47]، حتى قال ابن خلدون أنه وصل الأوراس ومعه أبو عمار الأعمى في اثني عشر من الراحلة[48]، ويبدو أن دعوة أبي يزيد لقيت إقبالا كبيرا في جبل أوراس، يقول الدرجيني» كان عند إخوانه بالجبل مكرما»[49] فكان بنو كملان[50]في جبل أوراس هم الساعد الأيمن لحركته وبهم قوي واشتدت شوكته واستفحل أمره.[51]

44 ابن خلدون : كتاب العبر ،ج 7، ص 16.
45 الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث قسنطينة، 1974 م، ج 1ص96-98.
46 سليمان بن الحاج: المرجع السابق، ص 28.
47 ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص303.
48 العبر، ج7، ص27-28.
49 طبقات المشايخ، ج1، ص98.
50 هم قوم من هوارة كان موطنهم أوراس وقفوا إلى جانب أبي يزيد طيلة ثورته وقد قتل منهم الكثير في موقعة الرؤوس قرب باتنة .. ابن خلدون: المرجع السابق، ص34. والظاهر أنهم لم يندمجوا في هوارة الأوراس بل شكلوا قبيلة منفصلة ولا نعلم إذا كان بعض بني كملان يسكنون بجبل أوراس نفسه، غير أن وطنهم المشهور هو أرض المسيلة، حيث كان أبو القاسم القائم لما مر بهذه الناحية في غزوة للمغرب سنة315 هـ واختط مدينة المسيلة أخرج بني كملان منها ونقلهم إلى فحص المهدية فمازالوا هناك إلى غاية ثورة صاحب الحمار.ولفرد مادلونغ: المرجع السابق، ص 270.
51 ابن حماد: المصدر السابق، ص30.

وكان من نتائج هذا الحقد وهذا الإجرام أن وجد أبو يزيد دعما من فقهاء المالكية الذين أفتوا بالانضمام إلى ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد رغم أنه من الخوارج ورأوه رجل الخلاص[52]. وقالوا: نكون مع أهل البدعة لمقاومة أهل الزندقة المغيرين للدين، وقد أبرز"الدباغ"، أسباب انضمام المالكية إلى جانب ثورة أبي يزيد اليفرني، أنه تظاهر أمامهم بإحياء مذهب الإمام مالك، وهذا غير مقبول لأنه قد ينخدع العامة والناس ولكن كيف ينخدع العلماء، أكانوا بهذه الدرجة من السذاجة؟ أو ربما لأنهم اعتقدوا أن هذا الثائر الأمل الوحيد بالنسب لهم للخلاص من حكم الفاطميين.

وعلى العكس من ذلك فإن الروايات الإسماعيلية المعادية للثورة تذكر الثائر بأنه كان يسير في البربر، ويسع في الفساد، والتأليب على الدولة العلوية، وتكفير المسلمين غير من يدين بدين الخوارج، واستحلال قتالهم وجهادهم ورميهم بالكفر، وعظمهما البربر[53].

وقد سلك يزيد بن مخلد في نشر إيديولوجيته الثورية الطريق الذي سلكه الشيعة في نشر مذهبهم من أجل كسب الأتباع، وإقناع الأنصار، يقول الداعي إدريس أن صاحب الحمار كان»: إذا لقي أحدا يذكر له الشيخين أبا بكر وعمر، ويشنع على الشيعة لبغضهما، وأنهم لا يرون رأيهما، ويأتي أهل الرياسة من حيث يحبون في تزيين الرياسة لهم، وان السلطان قد ساوى بينهم وبين غيرهم ممن هو دونهم، وإذا لقي من همه الغارة والفتنة من الغوغاء والعوام أتاهم من باب تحليل الأموال والفروج، يحضهم على القيام والخروج حتى اجتمع له مائتا فارس«.[54]

كان أتباع الثورة والمنخرطون فيها من البربر البتر الذين يسكنون منطقة الأوراس وما جاورها[55]، وأغلبهم من زناتة ولواتة وهوارة وبني برزال ومغراوة وبني كملان، ومزاتة من الإباضيين النكار والوهبية، كما حاول أبو يزيد استنفار أتباع كافة المذاهب والفرق الناقمة على الشيعة، لذلك لم يعلن في البداية عن ميولاته المذهبية تقية منه، بل لقد أعلن أنه خرج غضبا لله.[56]

اختار أبو يزيد جبل أوراس دارا للهجرة، ومنطلقا للثورة، لأنه منطقة حصينة توفر له ولإتباعه الحماية والمنعة، مستفيدا من موقع الأوراس القريب من إفريقية والصحراء، كما أن صعوبة مسالكه تقلل من فعالية الجيوش النظامية، وهو الأمر الذي حدث عندما حاول الجيش الفاطمي بأمر من القائم بأمر الله[57]حصار الثائر، لمدة سبع سنوات فاستطاع أبو يزيد فك الحصار وهزيمة

52 ابن عذاري : المصدر السابق،ج 2، ص 339.
53 ادريس عماد الدين القرشي: عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار ، السبع الخامس، تح مصطفي غالب، دار الأندلس ، بيروت، 1975، ص172- 173.
54 إدريس عماد الدين القريشي: المصدر السابق، ص174.
55 في رسالة القائم بأمر الله التي أنفذها إلى الكتامين يدعوهم لجهاد الفاسقين الكفرة المارقين أهل أوراس. ولفرد ماداونغ: ثورة أبي يزيد صاحب الحمار في الأوراس، محاضرات ملتقى الفكر الإسلامي الثاني عشر – باتنة،-268 ج 2،ص 267.
56 ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تح إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968،ج 1، ص235.
57 هو أبو القاسم محمد بن عبيد الله القائم بأمر الله، تولى الخلافة بعد وفاة المهدي(297-322هـ)/(909-934م) ويقال أن اسمه نزار" ولقب بالقائم بأمر الله. مزهودي مسعود: المرجع السابق، هامش ص70.

الجيش العبيدي باستخدام حيلة إشعال النار في تبن معلق على ذيل الثور.[58]

لقد كان هذا النصر الذي أحرزه أبو يزيد كاف لجعل القبائل تتقاطر عليه من كل مكان، فأغراه ذلك على إعلان الثورة والسير لفتح المدن والحصون.[59]

كان النكار يهدفون من الثورة على الفاطميين إلى جملة من الأمور:

- السعي لقلب النظام الشيعي الفاطمي الفاسد الجائر على المسلمين بحسب نظرهم، وذلك باعتماد العنف المسلح لإسقاط الدولة.

- إقامة دولة المساواة النكارية المثالية يتساوى فيها جميع المسلمين، تقوم على الشورى والمساواة، و التي كانت منشد الخوارج و مبتغاهم منذ ظهورهم على الساحة الإسلامية.

- استباحة الغنائم والسبي، بحكم أن أعداءهم الشيعة كفارا، لذلك تباح أموالهم وتسبى نساؤهم[60].

وعمت جميع البلاد حتى غدت في التراث الفاطمي محنة امتحنت إيمان الأتباع، وكادت ثورة أبي يزيد أن تقضي على دولة العبيديين لولا أن جاءتهم الإعانة الغذائية من زيري بن مناد الصنهاجي[61].

وقد مرت الثورة بأربعة مراحل:

- **المرحلة الأولى** : لقد أقام أبو يزيد في جبل أوراس مدة قريبة من سبع سنين قبل خروجه منه لفتح مدينة بغاي سنة 332هـ/943م وقد أقام بموضع في جبل أوراس يسميه الداعي إدريس المتوالان ويسميه ابن خلدون النوالات، وهو على ما يظهر على مسافة أربعة وعشرين ميلا من مدينة باغاي[62].

وبعد فك حصار الأوراس اتجه أبو يزيد نحو الجنوب عند بني وركلان لحشد الدعم، ثم عاد مرة أخرى إلى الأوراس سنة331هـ/942م أين أخذت له البيعة على قتال العبيديين[63]. وبدأت الثورة عندما زحف عليه عامل باغي»وهو صولت بن ملول» فهزمه أبو يزيد، الذي واصل طريقه إلى بغاي فحاصرها، لكنه انهزم فيها، فتوجه إلى فتح مدينة تبسة ومجانة والأربس[64]، وفيها استولى أبو يزيد على بلاد الزاب حيث كانت الجماعات الخارجية منتشرة كما سيطر على الأقاليم الساحلية الشمالية في باجة وتونس[65].

58 مزهودي مسعود: المرجع السابق، ص72.
59 إدريس عماد الدين القرشي: المصدر السابق،ص 172- 173.
60
61 ابن عذاري: المصدر السابق،ج 1، ص 219
62 ولفرد مادلونغ: المرجع السابق، ص269.
63 محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص178.
64 ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص86.
65 ابن عذاري : المصدر السابق،ج 2، ص339.

وعند تنظيم حكومته بالأوراس كان يعينه أبناؤه الأربعة الذين أصبحوا خيرة قادته مع شيخه أبي عمار[66].

-**المرحلة الثانية**: تغلب فيها على عاصمة إفريقية القيروان، وبذلك دخلت الحركة الثورية مرحلة لتأسيس دولة الشورى حتى يحقق حلم النكارية الذي خاب أملهم في دولة بني رستم قبل ذلك، والتي لم تحقق الهدف الخارجي الذي ناضلوا قرونا في سبيل تحقيقه، وبذلوا لذلك الكثير من الأنفس و الأموال في سبيل تطبيقه[67].

والكثير من المصادر تشير إلى حسن استقبال علماء المالكية له في القيروان وقرارهم الجهاد معه، وهو يناقض رأي بعض المؤرخين الذين يقولون أنه حاصر القيروان وحاربهم، وهو تزييف للتاريخ تزلفا للدولة الحاكمة[68]، والقاضي عبد الجبار المعتزلي أورد تاريخ ثورة أبي يزيد لم يذكر فيها شيئا مما نسب إليه من الفواحش زورا وبهتانا لأنه لم يكن تحت حكم العبيديين وإن كان في عصرهم[69].

- **المرحلة الثالثة** : وفيها تمت محاصرة المهدية، عاصمة الدولة الشيعية، وهي المرحلة التي بلغت فيها الثورة ذروة اتساعها، حتى ظن كل الناس أن الدولة الفاطمية لم يبق لسقوطها إلا أن يتجاوز صاحب الحمار عتبة باب مصلى الإمام حتى يسيطر على العاصمة العصية[70].

-**المرحلة الرابعة**: وهي التي انحسرت فيها الثورة عن مدينتي المهدية والقيروان، حتى انتهت الثورة بتبديد جيش الثائر وهزيمته بالأوراس، حيث أصبح الجيش الفاطمي يسترجع المدينة تلو الأخرى، ومنها مدينة تيجس[71]، وباغاي من المدن التي تم استرجاعها[72]، وكان ذلك بقيادة إسماعيل بن القائم[73]، كما استرجع القيروان، فاتجه أبو يزيد إلى باغاي وحاصرها سنة 335هـ/946 م فتبعه الخليفة لكنه فر نحو بسكرة» الزاب»، ثم إلى المسيلة بجبال السالات[74]، ثم أخذ الخليفة بجمع حوله كل من يقدر على حمل السلاح،و يفرق الأموال والأرزاق، مرغبا الناس في ملاحقة أبي يزيد[75].

66 سليمان بن الحاج: المرجع السابق، ص 72.
67 القاضي عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، تحقيق عبد الكريم عثمان، دار العربية، بيروت، لبنان، د ت، ج2، ص391.
68 سليمان بن الحاج: المرجع السابق، ص73.
69 نفس المرجع والصفحة.
70 المقريزي: اتعاظ الحنفاء، المصدر السابق، ج1، ص79.
71 مدينة قرب قسنطينة في شرق الجزائر.البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، طبعة دي سلان، الجزائر، 1857، ص 63.
72 ابن خلدون : المصدر السابق، ج4، ص88-89.
73 هو أبو طاهر إسماعيل بن أبي القاسم تولى الخلافة بعد موت أبيه القائم سنة 334هـ وتلقب بالمنصور وقد توفي سنة 341هـ في مدينة ورجلان . إدريس عماد الدين القريشي: المصدر السابق، ص230.
74 إبراهيم أيوب: التاريخ الفاطمي السياسي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط1، ص 29-30.
75 ابن حماد : المصدر السابق، ص 41.

وفي بداية سنة 336هـ /947م وقعت معركة بين أبي يزيد والمنصور بين المسيلة و الأوراس،» بباتنة»[76]، قتل فيها الكثير من أصحاب أبي يزيد، كان أكثرهم من بني كملان بالأوراس ومزاتة، حتى أن هذه المعركة عرفت بيوم الرؤوس أو بموقعة الحريق حيث ألقى القبض على صاحب الحمار، مثخنا بالجروح، ثم يموت في الأسر، وسنة 336هـ/947م بذلك انتهت الثورة[77]، فأمر المنصور بسلخه، وحشي جلده تبنا، وجعل في قفص مع قردين يلاعبانه[78].

ولم يفلح أبناء أبي يزيد من إعادة إيقاد فتيل الثورة من جديد رغم محاولاتهم القيام بذلك، فقد عمد المنصور إلى اغتيال الفضل بن أبي يزيد، ثم أيوب، وفر بقية أبناء أبي يزيد إلى الأندلس[79].

رابعا : نتائج الثورة

ومن نتائجها إرهاق أبو يزيد للعبيديين (الفاطميين) رغم أنهم قضوا على ثورته سنة 336 هـ/947م ولكن نفوذ العبيديين (الفاطميين) تضاءل في بلاد المغرب وساءت حال البلاد في شمال إفريقية من جراء تلك الثورات، وتمنى البربر خروجهم اليوم قبل الغد وهو ما انعكس بتغيير المذهب مباشرة بعد رحيل المعز للقاهرة.

وإذا كان تحالف صنهاجة[80] مع الفاطميين ضد قبيلة زناتة التي ينتمي إليها يزيد، قد سمح ببروز دور زيري بن مناد بمظهر القائد العظيم والمحنك، فإن بقاء هذا الأخير على ولائه للسلطة لفترة طويلة، قد أكسبه ثقة الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، بأن ولاه على سائر المغرب الإسلامي، وذلك قبل رحيله إلى مصر[81].

وقد ورد عن ابن خلدون « أن أصحاب أبي يزيد قد نقموا عليه.اتخاذ الحرير في لباسه، ورأوا في ذلك خروجا عن عاداتهم، وما تعارفوا عليه"[82]، وهو كلام فيه نظر لأن مخلد بن كيداد كان من الصوفية الزاهدين، فكيف يفكر في ذلك وهو المتدين الذي يعلم بأن الحرير حرام على الرجال، أو أن إدعاءات الشيعة في كتبهم وعلى رأسهم المقريزي قد تأثر بها ابن خلدون.

ويعتقد بعض الإباضية الذين خرج يزيد ناكرا لإمامتهم أنها ثورة فاشلة وجلبت الدمار للمنطقة، ولم تمثل حركات المقاومة، والاسترداد التي تبناها أبو يزيد النكاري، ومن ناصره من الزناتيين ضد الحكم الفاطمي، إلا محاولات تمرد يائسة، لأنها كانت تفتقد إلى الخطة والهدف بدليل أنها

76 نفس المصدر والصفحة.
77 القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، دت، ص 334؛ و إدريس عماد الدين القرشي: المصدر السابق،ص 296-306.
78 المقريزي: كتاب المقفى الكبير، تراجم، ص 171.
79 سليمان بن الحاج : المرجع السابق، ص 85-86.
80 تنتسب «صنهاجة» إلى ولد «صنهاج»، وأصل الكلمة «صناك»، بالصاد المشمسة زايا والكاف القريبة مَن الجيم، فلما عربتها العرب، زادت الهاء بين النون والألف، فصارت «صنهاج»، ثم أضافوا لها تاء الجمع، فتحولت إلى «صنهاجة»، للمزيد، ينظر، ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 152.
81 ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6،ص 3.
82 ابن خلدون: المصدر نفسه، ج 7، ص13.

لم تجلب للبلاد، إلا الخراب والقتل والتشريد، فقد ورد في بعض المصادر في هذا الشأن «أن عدد ما خرب من القرى على يديه في إفريقية ثلاثون ألف قرية"[83].

أما عن الخسائر في الأرواح، فيبدو أنها كانت ثقيلة، حتى أن بعض المصادر ذهبت إلى إحصاء"عشرة آلاف قتيل"، من الذين سقطوا في مدينة سوسة وحدها، و من جراء الحصار الذي ضربه جيش أبي يزيد الزناتي على المدينة سنة 333 هـ/944م[84]، وهو كلام يناقض ما قاله الذهبي» أنه بخروج أبي يزيد مخلد بن كيدا ومن معه على بني عبيد أحسنوا السيرة مع الرعية وتهذبوا وطووا ما يرمونه من إظهار مذهبهم وساسوا ملكهم[85].

وليس من المعقول أن يكون هذا الرجل المؤمن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ينقلب تماما إذا شاخ وعجز، من حسن السيرة إلى فساد الأخلاق، وما موقف المشايخ الذين كانوا معه، وهل يقبل عاقل أن يواصل ولداه الفضل وأيوب الجهاد بعد موته وتنصاع لهم الناس، وكيف يعقل أن يواصل عبد الرحمان الناصر أمير الأندلس مساندته وهو من المدافعين عن الإسلام والغيور على مبادئه، ولكنه كله مجرد أكاذيب للعبيديين ومؤرخيهم[86].

كما يمكن أن نحكم على أعمال يزيد بأنها رد فعل على أعمال الخلفاء الفاطميين مثل ما فعل الخليفة المنصور بالله حينما اجتاح بجيشه ديار زناتة، فسبى نساءهم وذراريهم، وأخذ ما لهم من الخيل والجمال، وصنوف الحيوان، ما يفوق الإحصاء، ويستغرق الاستقصاء، على حد تعبير ابن حماد[87] ونفس الشيء كان قد قام به أبو عبد الله الشيعي حينما اقتحم بلزمة في الأوراس [88] هذا وقد اتبع أبو يزيد النكارى الأسلوب نفسه، عندما هاجم أهالي مدينة تونس، حيث أورد"ابن أبي دينار"في هذا الصدد:"ونهب مدينة تونس، وأخذ منها ألف خابية زيتا، غير الأموال والعبيد[89].

ولقد عانى السكان في بعض المدن تحت وطأة الحصار المفروض عليهم، سواء من قبل جيش الفاطميين، أو من طرف جيش أبي يزيد الزناتي، وقد جاء في بعض المصادر تصوير شدة الحصار الذي ضربه أبو يزيد مخلد بن كيداد على مدينة المهدية، وما أصاب الأهالي من الجوع الشديد بسببه، فأوردت في هذا الصدد:»وعظم البلاء على الرعية، حتى أكلوا الميتة والدواب والكلاب"[90]. وهي نتيجة حتمية لكل الثورات فحتى جيش عمر بن الخطاب حاصر القدس.

كما يحاول أن يلصق المقريزي هجرة وفرار الناس من ظلم وجور الفاطميين بحصار مخلد بن كيداد بقوله هاجر الكثير من أهالي»المهدية»إلى مناطق بعيدة، مثل جزيرة صقلية، ومصر، وبلاد الروم، بعد أن أنهكهم طول الحصار، الذي فرض عليهم، من طرف جيش أبي يزيد مخلد

83 الدرجيني: المصدر السابق، ج 1ص 101.
84 انظر ابن الأثير، الكامل ، ج 6، ص309.
85 نفس المصدر والصفحة.
86 سليمان بن الحاج: المرجع السابق، ص80.
87 أخبار ملوك بني عبيد، المصدر السابق، ص 32.
88 القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص 172.
89 المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد الشمام، المكتبة العتيقة، تونس 1967 م، ص56.
90 ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص57.

بن كيداد الزناتي[91]، والتمسوا عجزا من حماية الفاطميين لهم، أمام آلة القتل والتنكيل، التي استهدفتهم، فكيف يهربون إذن من الحصار المحكم الذي ضربه هذا البطل؟.

كما انعكس لثورة أبو يزيد خاصة نتائج وخيمة على الأوراس، والمغرب الأوسط، وإفريقية، ذلك أن هذه الثورات قد أثرت في اقتصاديات المنطقة عندما تعطلت الزراعة بسبب هجرة الزراع إلى المناطق الآمنة فرارا بأرواحهم من الملاحقات والتصفيات الجسدية، خاصة أثناء ثورة النكار على الفاطميين إذ صارت كل أنحاء المغرب مستباحة للطرفين فلم يكن منهم من يرقب في الناس إلاً ولا ذمة، إذ تعرض الناس لقمع شديد وتصفية أموالهم، خاصة المعارضين لكل طرف.

فذهب الأمن وزال النظام، وقطعت السابلة، فخاف الناس على أنفسهم وأموالهم، وكأن أبو يزيد يروم إلى تحقيق ذلك حتى تضعف سلطة الدولة الفاطمية وتقل حاصلاتها من الجبايات والضرائب، فتتفرق الجموع من حول القائم الفاطمي، عندما لا يجد ما يقدمه من عطايا وأجور للجند والمتطوعة[92].

ويمكن أن نستدل بأن مختلف الصناعات القديمة بقيت سائدة ولم تتأثر بثورة مخلد بن كيداد من أهم الصناعات التي اشتهر بها الأوراس الأنسجة الصوفية والأكسية القطنية، يروي أبو زكرياء أن صاحب الحمار عندما كان معسكرا بالأوراس يستجمع قواه استعدادا للقيام بالثورة سأله بعض الخارجين معه »ماذا تنتظر للأخذ بثأر يزيد بن فندين؟..فقال أبو يزيد : دعنا حتى نفرغ من نسج كسائنا«.. مما يبين استمرار مختلف الأنشطة الاقتصادية[93].

كما أدرك العبيديون هم أيضا أن المغرب لم يعد دار قرار، مما جعلهم يعجلون بالانتقال إلى مصر في عهد المعز لدين الله سنة 362 هـ/ 972 م.تاركين وراءهم صنهاجة كقوة نامية تخلفهم، وتحكم المغرب باسمهم، بعدما أفل نجم زناتة بعد الذي أصابها من جزاء الحروب والثورات التي شاركت فيها منذ مراحل الفتح الأولى إلى ثورات الخوارج والصراع بينها وبين كتامة الفاطميين[94].

وقد كان ذلك كله فرصة لعودة المذهب المالكي وانتعاشه والذي سيخلف المذهب الشيعي الإسماعيلي[95]، كما كانت سببا في التمهيد لزوال الفكر الخارجي الذي حمل تبعات كل الاضطرابات التي وقعت في المغرب الأوسط وإفريقية مما جعل البقية الباقية منهم يبحثون عن ملجأ آمن يحتمون به بعيدا عن الصراعات التي أضعفت وجودهم وقوضت كيانهم فاختاروا الصحراء مستقرا وملجئا[96].

كما أن الأطراف الخارجية وجدت الفرصة المواتية للتدخل في شؤون المغرب، والسعي

91 اتعاظ الحنفاء، ج 1، ص 80.
92 بوبة مجاني: المرجع السابق، ص129-130.
93 إبن خلدون : المصدر السابق ، ج 7، ص 180
94 موسى رحماني: المرجع السابق، ص85.
95 مزهودي مسعود: الاباضية، المرجع السابق، ص102-103.
96 مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص102-103.

لتأزيم الوضع أكثر خاصة، الخليفة الأموي الناصر الذي قدم العون لصاحب الحمار وقد كانت بينهما مراسلات وسفارات[97].

خامسا : أسباب فشل الثورة.

لقد كانت هزيمة جيش الثائر عائدة بلا شك إلى طبيعة تكوين هذا الجيش الذي تشكل أساسا من سكان الجبال غير المدربين على فنون الحصار، كما كان هو قليل الخبرة بمكائد الحرب فلم يستطع استثمار الانتصارات التي حققها، كما أن انكشافه عن المالكية، واستشهاد الكثير من فقهائهم، قد عجل بفشل الثورة لأن الناس قد زالوا عنه لما رأوا المؤامرة التي حاكها مع أصحابه ولما رأى أبو يزيد أنه قد تمكين، قال لجنوده: إذا التقيتم مع القوم، فانكشفوا عن أهل القيروان حتى يتمكن أعداؤكم من قتلهم، فيكونوا هم الذين قتلوهم، لا نحن فنستريح[98]، وهذا كلام ابن عذارى فيه نوع من الريبة فكيف يتخلى مخلد بن كيداد على نخبة المالكية التي سارت معه وهو يعلم أن أهل القيروان مشوا معهم من أجلهم.

إن ثورة صاحب الحمار كادت تؤتي أكلها وتسقط الدولة العبيدية، لولا بعض المفاسد التي ارتكبها أصحابه، وساهمت في إضعاف جبهته، وفككت تحالفه[99]، وقد يفسرها البعض بأخطاء كل الثورات والتي نجدها في أغلبها لأن الثورة قد ينخرط فيها الجاهل والغير الواعي لمقاصدها وأهدافها وربما ينضم إليها الطامعون والطامحون لمكاسب دنيوية وغيرها، وحتى في هجرة الرسول «ص» هناك من هاجر معه ولكن لأمور دنيوية وليست دينية.

خاتمة:

رغم النهاية المأساوية للثورة، فإنه يمكننا أن نسجل بعض الملاحظات التي يمكن أن تزيد الثورة

تفسيرا ، ومواقف القوى المتصارعة توضيحا فنقول:

- لقد شكلت ثورة النكار بقيادة أبو يزيد ما يشبه الملحمة القريبة من الأسطورة، فقد ذاع صيت الرجل، وهو الذي أوشك أن يقضي على دولة قائمة ويقيم مكانها دولة أخرى[100].

لقد كانت أسباب الثورة دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية كما سبق أن رأينا، لكن هذه الأسباب كانت تغطي سببا أقوى وهو انفجار قوى العصبية الزناتية التي ينتمي إليها أبو يزيد اليفرني، والمناوئة لعصبية كتامة التي استقوت بالدولة الشيعية وسعت للهيمنة وفرض نفوذها على

97 عبد العزيز فيلالي: العلاقات بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر، والتوزيع، الجزائر 1982، ص169-179.
98 البيان المغرب، المصدر السابق،ج1، ص218.
99 ابن عذارى: المصدر السابق،ج1، ص218.
100 سليمان بن الحاج داود بن يوسف: المرجع السابق، ص89-95.

المجال الذي كانت تستوطنه زناتة[101].

إن الثورة وإن شاركت فيها قبائل عديدة، كلها تنتمي إلى زناتة، فإن الدور الذي لعبه سكان الأوراس في جميع فصول الثورة دور كبير وعظيم[102]

- كما أظهرت الثورة إضافة إلى ذلك نزوع الأوراس نحو الاستقلال عن الدولة الفاطمية، وإنما كانت حركة أبي يزيد تعبيرا عن هذا الطموح الذي ظل يراود سكان الأوراس منذ العهد الأموي مرورا بالمرحلة الأغلبية، فعلى الرغم من تمكن المنصور الفاطمي من قتل الثائر وتتبع أتباعه بالقتل والاغتيال، ثم جولة المعز لدين الله الفاطمي في الأوراس سنة 342 هـ/953م لإخضاع أهل الخلاف به لم تكلل جهود الدولة الفاطمية في ضبط المنطقة وإحكام السيطرة عليها، بل وقد استمر الأوراس خلال حكم الزيريين مستقلا مما يعني تأصل هذه النزعة في الأوراس وسكانه[103].وإذا نظرنا إلى ثورة أبي يزيد بالأوراس في هذا الإطار التاريخي فتهي صفحة لامعة في كفاح أهلها للمحافظة على استقلالهم .

مناطق انتشار ثورة مخلد بن كيداد

101 محمد سهيل طقوش: تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية ومصر وبلاد الشام، دار النفائس، بيروت ط 1، 2001 ، ص 140

102 إدريس عماد الدين القرشي: المصدر السابق،ص199-200.

103 مولفرد مادلونغ: المرجع السابق، ص 274.

قائمة المصادر والمراجع

مزهودي مسعود: الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب، المطبعة العربية، غرداية، 1996

عبد الحميد زوزو: الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي (التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية) 1837-1939، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005

محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984

المقريزي: كتاب المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1991، ج6

سليمان بن الحاج: ثورة أبي يزيد جهاد لإعلاء كلمة الله، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1981

عند ابن الأثير (كنداد) ، ج 6

ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984

العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1992

صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979

ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1999،2 ، ج 1

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق، س كولان ول. بروفنسال، دار الثقافة بيروت، 1982، ج1

الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول، الاسكندرية، 1958

ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج 2

المقريزي «جارية صفراء هوارية» اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ج 1

أبو زكريا : سير الأئمة وأخبارهم ، تحقيق إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، ط2 ، بيروت ، لبنان 1982

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: أحمد بكير محمود ،منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت)

ولفرد مادلونغ: ثورة أبي يزيد الخارجي صاحب الحمار في الأوراس، ضمن أعمال ملتقى الفكر الإسلامي الثاني عشر، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ج2

موسى رحماني: الأوراس في العصر الوسيط، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2006

القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي، وإبراهيم شبوح، ومحمد اليعلاوي، الجامعة التونسية، تونس، 1978

رياض النفوس، تحقيق بشير البكوش، وأحمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، للطباعة والنشر، بيروت، 1981 م

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط6، 1986 ، ج 6

عبد الرزاق محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب

الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث قسنطينة، 1974 م

ادريس عماد الدين القرشي: عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار ، السبع الخامس، تح مصطفي غالب، دار الأندلس ، بيروت، 1975

ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تح إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968

القاضي عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، تحقيق عبد الكريم عثمان، دار العربية، بيروت، لبنان، د ت، ج2

مدينة قرب قسنطينة في شرق الجزائر.البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، طبعة دي سلان، الجزائر، 1857

إبراهيم أيوب: التاريخ الفاطمي السياسي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط1

القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس

المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد الشمام، المكتبة العتيقة، تونس 1967 م

عبد العزيز فيلالي: العلاقات بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر، والتوزيع، الجزائر 1982

محمد سهيل طقوش: تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية ومصر وبلاد الشام، دار النفائس، بيروت ط 1، 2001

الشماخي: السير، طبعة حجرية، القاهرة، د ت

ابن خلدون : كتاب العبر

طبقات المشايخ، ج1

.125-La Révolte d'Abu-Yazid, Cahiers de Tunisie 1953, pp103

Kaynakça

ABDÜLCEBBAR; el-Kadı, *Tesebbütü delâili'n-nübüvve*, thk. Abdülkerim Osman, Beyrut: Darü'l-Arabiyye, t.y.

el-BEKRÎ, *el-Mağrib fi fikri bilâdi İfrikiyya ve'l-Mağrib*, Cezayir, 1857.

el-Beyânü'l-Mağrib fi ahbâri Endelüs ve'l-Mağrib, thk. S. Colan, L Provencal, Beyrut: Darü's-Sekafe, 1982.

ed-DERCİNİ, *Tabakâtü'l-meşâyih bi'l-Mağrib*, thk. İbrahim Talay, Konstantin: Matbaatu ma's, 1974.

İbnü'l-ESİR, *el-Kâmil fi't-târih*, Beyrut: Dârü'l-kitâbi'l-arabî, 1986.

EYYUB, İbrahim, *et-Târihü'l-fâtimiyyü's-siyasi*, Beyrut, t.y.

FEYLALİ, Abdülaziz, *el-Alâkatü beyne'd-devleti'l-ümeviyye fi'l-endelüs ve düveli'l-Mağrib*, Cezayir, 1982.

İbnü'l-HAC, Süleyman, *Sevretü ebî Yezîd cihâdün li ilâi kelimetillah*, Konstantin: Dârü'l-ba's, 1981.

İbn HALDUN, Ebu Zeyd Abdurrahman, *el-İber ve dîvânü'l-mübtede' ve'l-haber*, Beyrut: Dârü'l-kütübi'l-ilmiyye, 1992.

İbn HALLİKAN, *Vefeyâtü'l-a'yân ve enbâü'z-zamân*, thk. İhsan Abbas, Beyrut: Darü's-sekâfe, 1968.

İbn HAMMAD, *Ahbârû mülûki benî Ubeyd ve sîretihim*, thk. Celul Ahmed el-Bedevi, Cezayir: el-Müessesetü'l-vataniyye li'l-kitab, 1981.

el-HAMEVÎ, Mu'cemü'l-büldân, Beyrut: Dâru sâdır, t.y.

İbn HAVKAL, *Sûretü'l-arz*, Beyrut: Darü'l-mektebeti'l-hayat, 1979.

İbn HAZM, *el-Faslu fi'l-milel ve'l-ehvâi ve'n-nihal*, Beyrut: Dârü'l-kütübi'l-ilmiyye, 1999.

İSMAİL, Abdurrezzak Mahmud, *el-Havâric fi bilâdi'l-mağrib hattâ muntasafi'l-karni'r-râbii'l-hicri*, Fas:ed-Dârü'l-beyda, t.y.

el-İstibsâr fi acâibi'l-emsâr, yay. haz. Sa'd Zağlul, İskenderiye 1958.

el-KUREŞİ, İdris İmadüddin, 'Uyûnu'l-ahbâr ve fünûnu'l-âsâr fi fedâili'l-eimmeti'l-adhâr, thk. Mustafa Galib, Beyrut: Dârü'l-endelüs, 1975.

MADELUNG, Wilferd, "Sevretü ebi Yezîd el-Hârici sâhibu'l-himâr fi'l-Evrâs", *12. İslam Düşüncesi Forumu Çalışmaları* içinde, Cezayir Din İşleri Bakanlığı, t.y.

el-MAKRİZİ, *Kitâbu'l-mukaffa'l-kebîr*, thk. Muhammed Ya'lavi, Beyrut: Dârü'l-garbi'l-islâmî, 1991.

el-MAKRİZİ, İttiâzü'l-hunefâ bi ahbâri'l-eimmeti'l-Fâtımiyyîne'l-hulefâ, thk. Muhammed Abdülkadir, Ahmed Ata, Beyrut: Dârü'l-kütübi'l-ilmiyye, 2001.

MES'UD, Mezhudi, *el-İbâdiye fi'l-mağribi'l-evsat münzü sukûti'd-devleti'r-rüstemiyyeti ilâ hicreti Benî Hilâl ilâ bilâdi'l-mağrib*, Gardaya: el-Matbaatü'l-arabiyye, 1996.

el-Müennes fi ahbâri İfrikiyya ve Tünis, thk. Muhammed eş-Şemmam, Tunus: el-Mektebetü'l-atika, 1967.

en-NU'MAN, el-Kâdi, *el-Mecâlisü ve'l-müsâyerât*, thk. El-Habib el-Faki, İbrahim Şebbuh, Muhammed Ya'lavi, Tunus, 1978.

----------, *Risâletü iftitâhi'd-da've*, thk. Ferhat ed-Deşravi, Tunus, t.y.

Riyâdü'n-nüfüs, thk. Beşir el-Bekkuş, Ahmed el-Arusi el-Matvi, Beyrut: Dârü'l-garbi'l-islami, 1981.

RAHMANİ, Musa, *el-Evrâs fi'l-asri'l-vasît*, Konstantin Manturi Üniversitesi'ne sunulmuş Yüksek Lisans Tezi, 2006-2007.

ŞENİTİ, Muhammed Beşir, *et-Tegayyürâtü'l-iktisâdiyyetü ve'l-ictimâiyyetü fi'l-mağrib esnâe'l-ihtilâli'r-rûmânî*, Cezayir: el-Müessesetü'l-vataniyyeti li'l-kitâb, 1984.

eş-ŞUMAHİ, *es-Siyer*, Kahire, t.y.

TAKKUŞ, Muhammed Süheyl, *Târihü'l-Fâtımiyyîn fi şimâli İfrikiyye ve Mısr ve bilâdi'ş-Şâm*, Beyrut: Dârü'n-nefâis, 2001.

Tertîbu'l-Medârik ve takrîbü'l-mesâlik li ma'rifeti a'lâmi mezhebi Mâlik, thk. Ahmed Bekir Mahmud, Beyrut, t.y.

Ebû ZEKERİYYA, *Siyeru'l-eimmeti ve ahbârihim*, thk. İsmail el-Arabi, Beyrut: Dâru'l-garbi'l-islami, 1982.

ZUZU, Abdülhamid, *el-Evrâsü ibbane fetrati'l-isti'mâri'l-faransî (et-Tatavvurâtü's-siyâsiyyetü ve'l-iktisâdiyyetü ve'l-ictimâiyye) 1837-1939*, trc. Mes'ud Hac Mes'ud, Cezayir, 2005.